حكايات الشعوب

الفراشة الصفراء

وحكايات أخرى
من إفريقيا



عبد التواب يوسف

رسوم : رأفت محيي الدين

سفير



الفراشة الصفراء

و حكايات أخرى
من
إفريقيا

عبد التواب يوسف
رسوم
رأفت محيي الدين

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فِى الْمَاضِى الْبَعِيدِ ، الْبَعِيدِ جِدًّا ، كَانَتِ « الشَّـمْسُ » تَعِيشُ عَلَى الأَرْضِ ، مِثْلَمَا يَعِيشُ عَلَيْهَا «الْبَحْرُ» . وَقَـدْ تَـعَوَّدَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ عَلَى زِيَارَتِه ، وَرُبَّمَا أَطَالَتِ الْمُكُوثَ لَدَيْه، تَتَبَادَلُ مَعَهُ الْحَدِيثَ الْمُمْتِعَ ، وَيَتَنَاقَلان أَخْبَارَ هَذَا الْكَوْنِ الَّذِى كَانَ مَا يَزَالُ وَلِيدًا صَغِيرًا ، لَكِنَّهَا تَنَبَّهَتْ إِلَى أَمْرٍ صَارَحَتْ بِه صَدِيقَهَا الْبَحْرَ :

- لَقَدْ تَكَرَّرَتْ زِيَارَتِى لَكَ !

- إِنَّهُ كَرَمٌ مِنْكِ بِدُونِ شَكٍّ !

- لَكِنَّكَ لَمْ تَرُدَّ الزِّيَارَةَ قَطُّ .

- ظُرُوفِى تَمْنَعُنِى مِنْ ذَلِكَ ، مَعَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ !

- أَىُّ ظُرُوفٍ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ ؟ .

- إِنَّنِى كَبِيرٌ وَاسِعٌ مُتَـرامِى الأَطْرَافِ ، ثُمَّ إِنَّ عِنْدِى أَبْنَاءً وَأَحْيَاءً وَمَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةً ؛ مِنْ حِيـتَانٍ وَأَسْمَاكٍ وَطُيُورٍ وَسِبَاعٍ ، وَ . . . لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْرُكَهَا ، كَمَا أَنَّ بَيْتَكِ لا يُمْكِنُ أَنْ يَسَعَهَا .

قَالَتِ الشَّمْسُ :عُذْرُكَ هَذَا مَقْـبُولٌ ، وَلَيْسَ أَمَامِى إِلا أَنْ أَقُومَ بِبِنَاءِ بَيْتٍ كَبِيرٍ ضَخْمٍ ، يَتَّـسِعُ لِلأَصْدِقَاءِ الْقَادِمِينَ لِزِيَارَتِى ، بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ ؛ وَبِذَلِكَ لا يَكُونُ لَكَ عُذْرٌ تُبَرِّرُ بِه عَدَمَ زِيَارَتِكَ لِى .

قَالَ الْبَحْرُ : شُكْرًا عَلَى دَعْوَتِكِ الْكَرِيمَةِ ، وَلا بُدَّ أَنْ نُلَبِّيَهَا ، وَنَسْعَدَ بِوُجُودِنَا فِى قَصْرِكِ الْكَبِيرِ .

بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَبْنِى الْبَيْتَ ، يُعَاوِنُهَـا فِى ذَلِكَ الْقَمَرُ ،زَوْجُهَا الْمُخْلِصُ ، وَكَانَا يَرْغَبَـانِ فِى أَنْ يَزُورَهُمَا «البحرُ» وَأَعْوَانُهُ وَأَصْـحَابُهُ ؛ لِذَلِكَ قَامَا مَـعًا يُشَيِّـدَانِ بَيْتًا كَبِـيرًا مُتَّسِـعًا ؛ كَىْ يَسْتَـقْبِلا فِيـهِ الضَّيْفَ وَأَتْبَاعَهُ ، كَـالْحُوتِ وَالدَّرْفِيلِ، ثُمَّ قَدَّمَا لَهُ الدَّعْوَةَ ؛ لِيَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمَا بِالزِّيَارَةِ ، فَسَأَلَ :

- هَلِ الْبَيْتُ آمِنٌ ، وَيَكْفِينَا ؟

- نَعَمْ .

- شُكْرًا عَلَى مَا تَتَمَتَّعَانِ بِهِ مِنْ نُبْلٍ وَفَضْلٍ .

- الْمِيَاهُ تَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ التَّقْدِيرِ ؛ فَهِىَ أَصْلُ الْحَيَاةِ.

- مَا مِنْ أَحَدٍ يُنْكِرُ فَضْلَكِ يَا شَمْسُ عَلَى الْحَيَاةِ.





- هَيَّا ، تَعَالَ يَا بَحْرُ ، إِنَّنَا فِى انْتِظَارِكَ .

وَتَبْدأُ الْمِيَـاهُ فِى التَّدَفُّقِ ؛ أَمْوَاجًا إِثْرَ أَمْـوَاجٍ ، حَامِلَةً مَعَهَا كُلَّ الأَحْـيَاءِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِى تَعِـيشُ فِى الْبَحْرِ ؛ لِتَدْخُلَ بَيْتَ الشَّـمْسِ وَالقَمَرِ ، وَأَخَـذَتْ تَعْلُو . . وَتَعْلُو . . وَتَعْلُو ، حَتَّى مَـاعَادَ هُنَاكَ مَكَانٌ لِصَـاحِبَى الْمَنْزِلِ ؛ لِذَلِكَ أَخَذَا يَصْعَدَانِ إِلَى سَطْحِ الْبَيْت ، وَهُمَا خَجُولانِ ، فَمَا كَانَا يَتَصَوَّرَانِ أَنْ يَضِيقَ بِهِمَا الْبَيْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ.

وَبَدَأَت الْمِيَاهُ تَغْـمُرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدَّارِ ،وَوَصَلَتْ سَقْفَهُ وَتَجَـاوَزَتْهُ ارْتِفَاعًا إِلَى السَّطْحِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ يُرَحِّبَانِ بِالْوَافِدِ الضَّيْفِ ، وَاضْطُرَّا إِلَى مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ وَالصُّعُودِ إِلَى أَعْلَى . . إِلَى أَعْلَى . . إِلَى أَعْلَى.

لَمْ يَعُدْ لِلشَّمْسِ وَالْقَـمَرِ مَكَانٌ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ ؛ لأَنَّ الْبَحْرَ احْـتَلَّ بَيْتَهُمَا ، رَغْمَ اتِّسَـاعِهِ ، وَسَكَنَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ، وَاسْتَقَـرَّا فِيهَا ؛ لِيَتَطَلَّعَ إِلَيْهِمَا النَّاسُ ، وَلِيَتَذَكَّرُوا مَدَى كَرَمِهِمَا وَجُودِهِمَا .

وَكَانَت الشَّـمْسُ خِلالَ النَّهَارِ تَفْـرِشُ مِيَاهَ الْبَـحْرِ بِنُورِهَا ، وَتَمُـدُّهُ بِالدِّفْءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَكَـانَتْ هَذِهِ بِدَوْرِهَا تَقُـومُ بِتَحْـوِيلِ بَعْضِ الْمِـيَاهِ إِلَى بُخَـارٍ يَصْعَـدُ إِلَى أَعْلَى لِرَغْبَتِـهِ فِى زِيَارَةِ الشَّمْسِ ، حَيْثُ هِىَ فِى سَمَائِهَا .

وَكَانَ الْقَـمَرُ لَيْلا يُغَطِّى سَطْحَ الْمِيَـاهِ بِضَوْءٍ فِضِّىٍّ جَمِيلٍ ، يَلْمَعُ وَيَتَأَلَّقُ ، وَكَانَ الْبَحْرُ بِدَوْرِهِ يَعْكِسُ هَذَا الضِّيَاءَ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ كَوْكَبُ الأَرْضِ كُلُّهُ .

إِنَّ الصِّلَةَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَمْ تَنْقَطِعْ قَطُّ مُنْذُ صُعُـودِهِمَا إِلَى السَّـمَاءِ . لَقَـدْ بَقِيَتْ عَلاقَةُ الصَّدَاقَةِ قَائِمَةً أَبَدَ الآبَادِ .

وَيَقُولُ الأَفَارِقَةُ :

إِذَا كَـانَ هَذَا يَحْـدُثُ بَيْنَ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ ، فَـيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الْبَشَرِ ، أَصْحَابِ الْعُقُولِ الذَّكِيَّةِ !

الْكُلُّ يَتَكَلَّمُ

الْوَقْتُ : صَيْفٌ .

الشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشِعَّتَهَا النَّارِيَّةَ عَلَى الْحَقْلِ الصَّغِيرِ ، وَصَاحِبِهِ ، وَقَدْ أَخَذَ يَحْفِرُ الأَرْضَ بِفَأْسِهِ ؛ لِيُيَسِّرَ لِنَفْسِهِ اقْتِلاعَ الْبَصَلِ وَالْجَزَرِ ، وَكَانَ قَدْ نَسِيَهُمَا طَوِيلا ، وَلَوْلا عِنَايَةُ السَّمَاءِ بِهِمَا وَمَا بَعَثَتْ بِهِ مِنْ غَيْثٍ ، مَا نَبَتَا ، وَأَطَلَّتْ شَوَاشِيهِمَا الْخَضْرَاءُ مِنْ بَاطِنِ التُّرْبَةِ . لَقَدْ غَفَلَ عَنْهَا ، وَلَمْ يُنَقِّ مِنْ حَوْلِهَا الْحَشَائِشَ الْعَشْوَائِيَّةَ الْبَرِّيَّةَ الَّتِى قَاسَمَتْهَا طَعَامَهَا وَضَوْءَ الشَّمْسِ ، وَمَا إِنْ فَتَّحَتِ الْجَزَرَةُ عَيْنَيْهَا عَلَى النُّورِ، حَتَّى قَالَتْ لَهُ مُعَاتِبَةً :

- آهْ . . هَا قَدْ تَذَكَّرْتَنَا أَخِيرًا . جِئْتَ لِلْحَصَادِ !

تَلَفَّتَ الْفَلاحُ مِنْ حَوْلِهِ بَاحِثًا عَمَّنْ يَتَكَلَّمُ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا ؛ فَازْدَادَ دَهْشَةً عَلَى دَهْشِهِ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الْبَقَرَةِ الَّتِى كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهِ وَهِىَ تَجْتَرُّ طَعَامَهَا ، وَسَأَلَهَا :

- هَلْ أَنْتِ الَّتِى تَكَلَّمْتِ ؟

لَمْ تَرُدَّ الْبَقَرَةُ ؛ فَقَدْ كَانَ فَمُهَا مُمْتَلِئًا بِالطَّعَامِ ، وَقَدْ دَرَّبَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَلا تَتَكَلَّمَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ ؛ إِذْ يَتَطَايَرُ مِنْهَا رَذَاذٌ يُصِيبُ مَنْ حَوْلَهَا ، لَكِنَّ صَوْتًا ارْتَفَعَ ؛ لِيَرُدَّ عَلَى الْفَلاحِ قَائِلا :



لَمْ تكُنِ الْبَقَرَةُ هِىَ الْمُتَحَدِّثَةَ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا هِىَ الْجزرَةُ الَّتِى اقْتَلَعْتَهَا مِنَ الأَرْضِ .

نَظَرَ الفَلاحُ مَصْعُوقًا إِلَى عَنْزَةٍ تَقِفُ بِجَانِبِ الْبَقَرَةِ ، وَسَأَلَهَا : هَلْ تَكَلَّمْتِ يَا عَنْزتِى الْعَزِيزَةَ؟

- مَنْ تَظُنُّ تكَلَّمَ غَيْرَهَا ؟

- الصَّوْتُ يَأْتِينِى الآنَ مِنْ أَعْلَى .

- نَعَمْ ، إِنَّهُ صَوْتِى أَنَا .

- مَنْ ؟ النَّخْلَةُ ؟

- إِنَّهَا أَنَا ، ولَا شَىْءَ غَيْرِى ، لَقَدِ اقْتَلَعْتَ جَرِيدِى أَمْسِ .

- كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ .

- ولَكِنَّكَ وَضَعْتَهُ مِنْ أَعْلَى ، فكِدْتَ تكْتُمُ أَنْفَاسِى .

- مَنْ تكُونُ يَا مَنْ تَتَحَدَّثُ إِلَىَّ مِنْ عَلَى الأَرْضِ ؟

- أَنَا الْحَجَرُ .

- حَتَّى الْحَجَرُ يَتَكَلَّمُ ! وَالْجَمِيعُ يَلُومُونَنِى ؟ إِنَّنِى لَنْ أَبْقَى دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِى هَذَا الْحَقْلِ الْمَسْحُورِ .

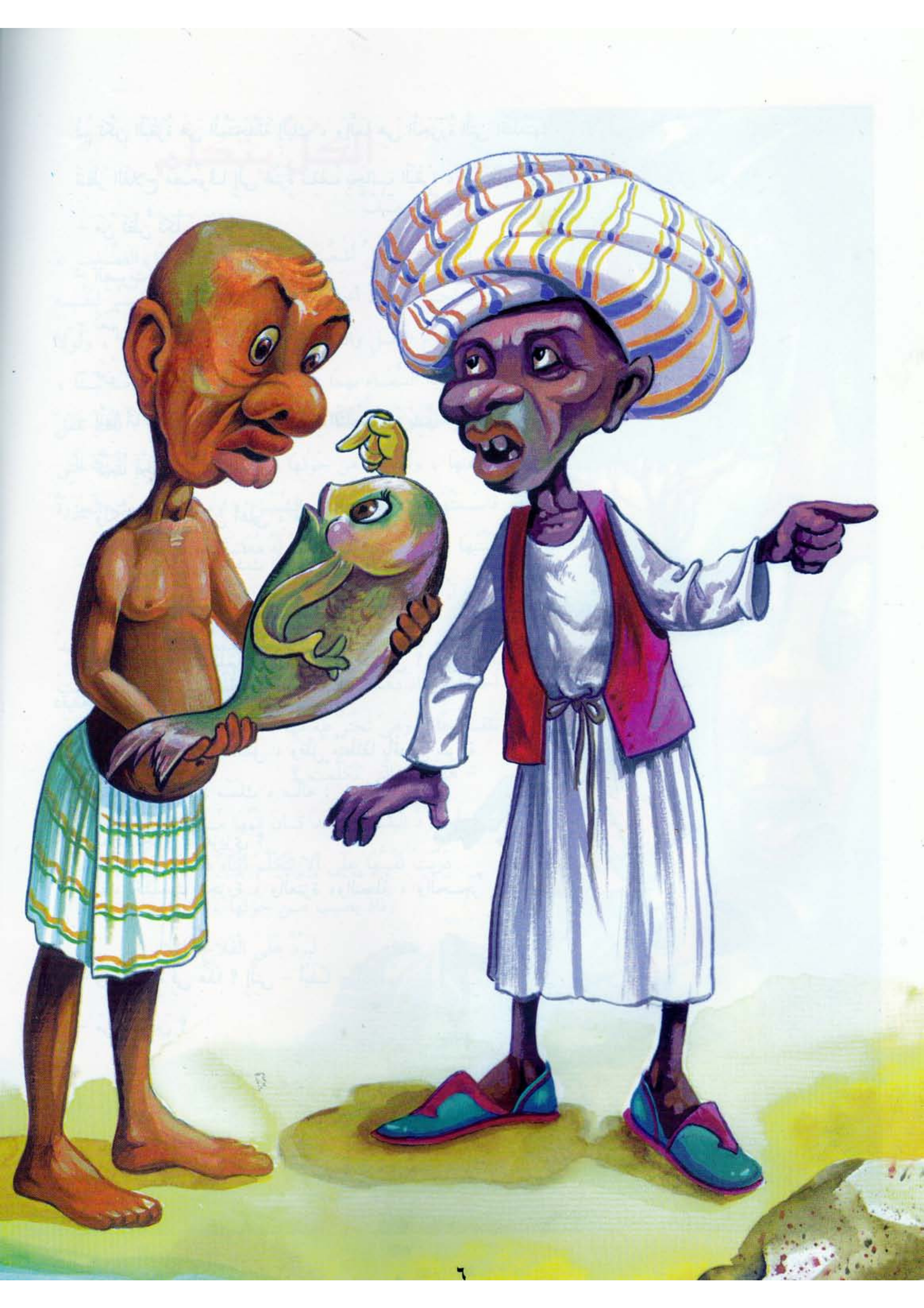
جَرَى الْفَلاحُ مُغَادِراً الْحَقْلَ ، وَظَلَّ مُنْطَلِقًا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى أَنِ الْتَقَى مَعَ صَيَّادِ سَمَكٍ ، سَأَلَهُ :

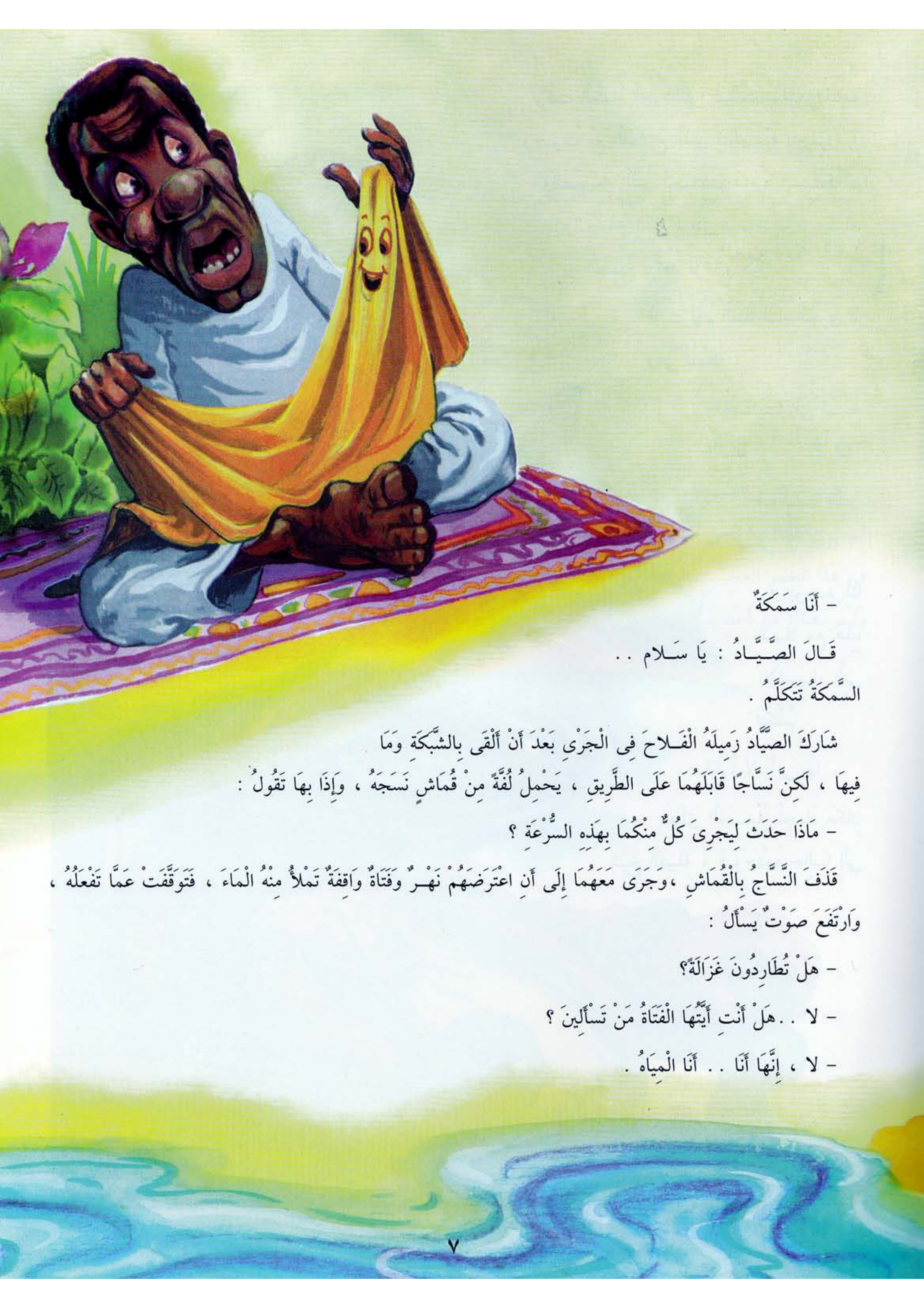
- لِمَاذَا تَجْرِى يَا عَزِيزِى ؟

- لَقَدْ تَكَلَّمَتِ الْجَزَرَةُ ، وَالْعَنْزَةُ ،وَالنَّخْلَةُ ، وَالْحَجَرُ نَطَقَ !

- وَأَىُّ شَىْءٍ فِى هَذَا ؟ إِنَّنِى - أَيْضًا - أَتَكَلَّمُ .

- مَنْ تكُونِينَ ؟





- أَنَا سَمَكَةٌ

قَـالَ الصَّـيَّـادُ : يَا سَـلام ..
السَّمَكَةُ تَتَكَلَّمُ .

شَارَكَ الصَّيَّادُ زَمِيلَهُ الْفَـلاحَ فِى الْجَرْىِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى بِالشَّبَكَةِ وَمَا فِيهَا ، لَكِنَّ نَسَّاجًا قَابَلَهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يَحْمِلُ لُفَّةً مِنْ قُمَاشٍ نَسَجَهُ ، وَإِذَا بِهَا تَقُولُ :

- مَاذَا حَدَثَ لِيَجْرِىَ كُلٌّ مِنْكُمَا بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ؟

قَذَفَ النَّسَّاجُ بِالْقُمَاشِ ،وَجَرَى مَعَهُمَا إِلَى أَنِ اعْتَرَضَهُمْ نَهْـرٌ وَفَتَاةٌ وَاقِفَةٌ تَمْلأُ مِنْهُ الْمَاءَ ، فَتَوَقَّفَتْ عَمَّا تَفْعَلُهُ ، وَارْتَفَعَ صَوْتٌ يَسْأَلُ :

- هَلْ تُطَارِدُونَ غَزَالَةً؟

- لا ..هَلْ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ مَنْ تَسْأَلِينَ ؟

- لا ، إِنَّهَا أَنَا .. أَنَا الْمِيَاهُ .

تَرَكَتِ الْفَتَـاةُ الْجَرَّةَ الَّتِى كَـانَتْ تَمْلَؤُهَا بِالْمَاءِ، وَجَـرَتْ مَعَ الْفَـلاحِ الَّذِى كَـلَّمَـتْـهُ الْجَـزَرَةُ ، وَالصَّـيَّـادِ الَّذِى تَحَـدَّثَتْ مَـعَـهُ السَّـمَكَةُ ، وَالنَّسَّـاجِ الَّذِى نَـطَقَ قُـمَـاشُـهُ . وَكَـانَ الْجَمِيعُ يَرْتَعِدُ فَزَعًا وَرُعْبًا .



قَالَتْ لَهُمُ الْفَتَاةُ أَثْنَاءَ الْجَرْىِ ، وَهِىَ تَلْهَثُ :

- هَيَّـا بِنَـا إِلَى شَـيْخِ الْقَبِيلَةِ .

- وَمَـــا الَّذِى يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ؟

- يُوجَـدُ لَنَا حَـلا مَعَ هَذِهِ الأَشْـيَـاءِ الَّتِى تَتَكَلَّمُ .

- فِكْرَةٌ لا بَأْسَ بِهَا .

انْطَلَقَ الْجَـمِيعُ تُجَـاهَ مَكَانِ شَيْخِ الْقَبِيلَةِ ، فَـوَجَدُوهُ جَالِسًا إِلَى مَقْعَدٍ خَشَبِىٍّ ضَخْمٍ .

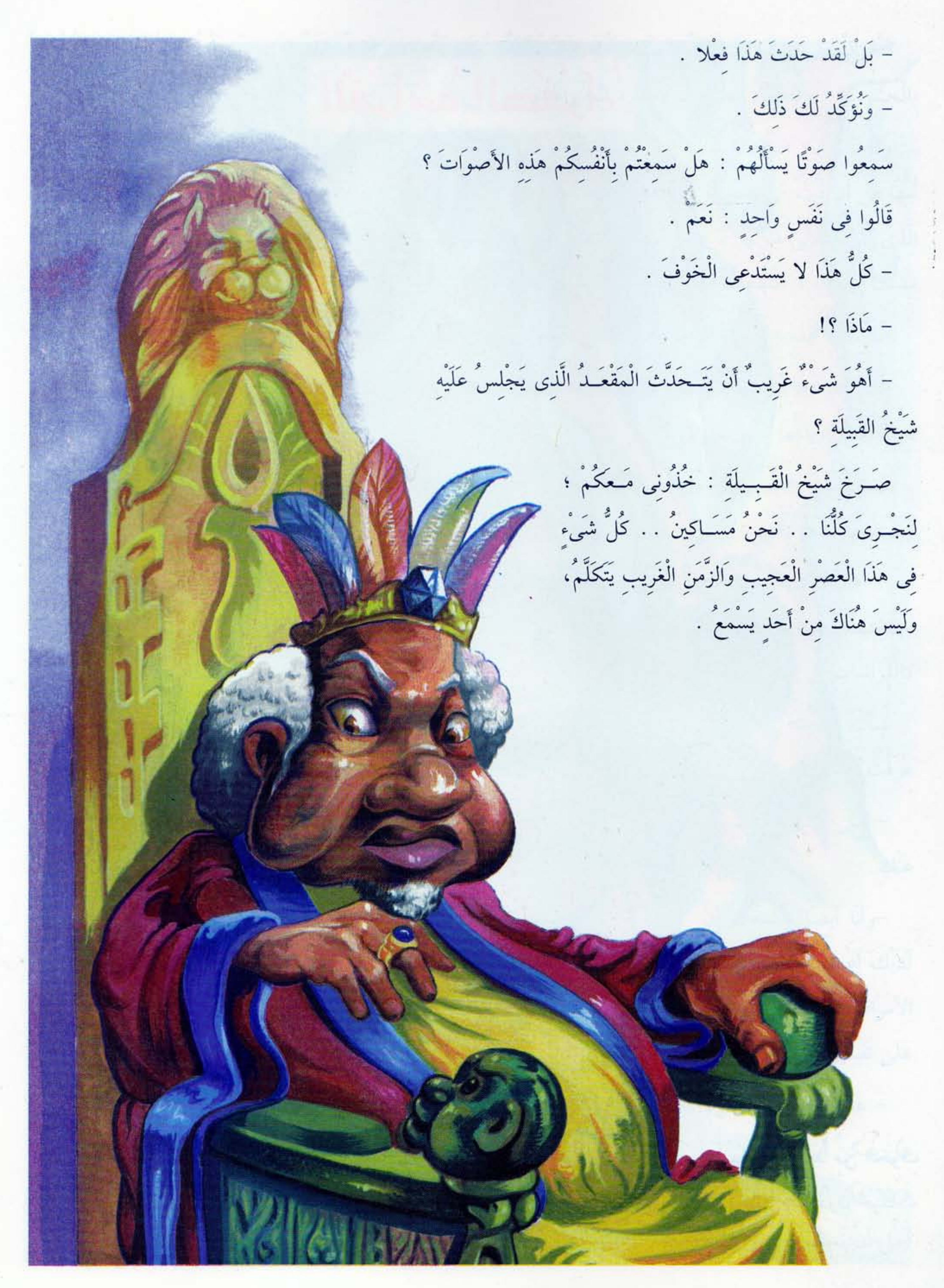
قَالَ لَهُ الْفَلاحُ : الْجَزَرَةُ تَكَلَّمَتْ وَ . . .

وَقَالَ الصَّيَّادُ : وَالسَّمَكَةُ .

وَقَالَ النَّسَّاجُ : وَقِطْعَةُ الْقُمَاشِ .

وَقَالَتِ الْفَتَاةُ : وَالْمِيَاهُ فِى النَّهْرِ تَكَلَّمَتْ أَيْضًا .

قَـالَ شَـيْخُ الْقَبِـيلَةِ : هَذَا كَـلامٌ خُـرَافِىٌّ ،أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُـقْلِقُوا الـنَّاسَ بِحِكَايَاتِكُمُ الْكَاذِبَةِ ، وَتَرْغَـبُـونَ فِى إِزْعَاجِ السُّلْطَةِ .



- بَلْ لَقَدْ حَدَثَ هَذَا فِعْلا .

- وَنُؤَكِّدُ لَكَ ذَلِكَ .

سَمِعُوا صَوْتًا يَسْأَلُهُمْ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ هَذِهِ الأَصْوَاتَ ؟

قَالُوا فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ : نَعَمْ .

- كُلُّ هَذَا لا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ .

- مَاذَا ؟!

- أَهُوَ شَيْءٌ غَرِيبٌ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْمَقْعَدُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ ؟

صَرَخَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : خُذُونِي مَعَكُمْ ؛ لِنَجْرِيَ كُلُّنَا . . نَحْنُ مَسَاكِينُ . . كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْعَجِيبِ وَالزَّمَنِ الْغَرِيبِ يَتَكَلَّمُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ .



عِنْدَمَا يَهْبِطُ اللَّيْلُ وَيَحُلُّ الظَّلَامُ ، تَقْعُدُ « أُوسَا » الصَّغِيرَةُ وَهِيَ تَعْقِـدُ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَتَرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ ؛ إِذْ تَتَخَيَّلُ الأَشْجَارَ شَيَاطِينَ ، وَتَتَصَوَّرُ الْغَـابَةَ مَلِيئَةً بِالْعَفَارِيتِ ، وَهِيَ تَظَلُّ فِي مَكَانِهَا هَذَا دُونَ حَرَكَةٍ ، وَلَا تُغَادِرُهُ إِلَى أَنْ تَنَامَ ، وَتَأْتِيَ أُمُّهَا ؛ لِكَيْ تَحْمِلَهَا إِلَى فِرَاشِهَا .

أَمَّا بِالنَّهَـارِ فَهِىَ « عِـفْرِيتَةٌ » صَـغِيرَةٌ ، وَشَـيْطَانَةٌ شُجَـاعَةٌ ، تَجْرِى هُنَا وَهُنَاكَ ، تَتَـسَلَّقُ الأَشْجَـارَ ، وَتُمْسِكُ بِالْحَشَرَاتِ ، وَتَصْطَادُ الطُّيُورَ ، وَتُطَارِدُ الْحَيَوَانَاتِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، ضَلَّتْ « أُوسَا » طَرِيقَهَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِهَا مِنَ الْغَابَةِ إِلَى الْبَيْتِ ، وَلَمْ يُفْلِحِ الْعِقْدُ الأَحْمَرُ الَّذِى أَهْدَتْهُ لَهَا أُمُّهَا فِى أَنْ يَبُثَّ فِى نَفْـسِهَا شَيْئًا مِنَ الشَّجَـاعَةِ ، أَوْ يُزِيلَ مِنْهَا الْجُبْنَ وَالْخَوْفَ ، وَظَلَّتْ تَسِيـرُ بَاحِثَةً عَـنِ الطَّرِيقِ الَّذِى يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهَا ، غَـيْرَ أَنَّـهَا لَمْ تَعْثُرْ عَلَيْهِ ، وَلَمَـحَتْ عَلَى الْبُعْدِ أَضْوَاءً تَنْبَعِثُ مِنْ فَـوْقِ شَجَرَةٍ ، وَعِنْدَمَا مَضَتْ نَحْوَهَا ، اكْتَشَفَتْ أَنَّهَا زُجَاجَاتٌ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ. قَالَتْ مُتَسَائِلَةً :

- أَتَكُونُ هَذِهِ « شَجَرَةَ الزُّجَاجَاتِ » الَّتِى سَمِعْتُ عَنْهَا ؟

إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا وَعَنْ صَاحِبِهَا الْعَجُوزِ . هَلْ تَجِدُهُ هُنَاكَ وَيَدُلُّهَا عَلَى الطَّرِيقِ ؟

مَضَتْ نَحْوَ الشَّجَـرَةِ ، وَإِذَا بِهَا تَلْقَاهُ ، وَيَسْتَقْبِلُهَا قَائِلا :

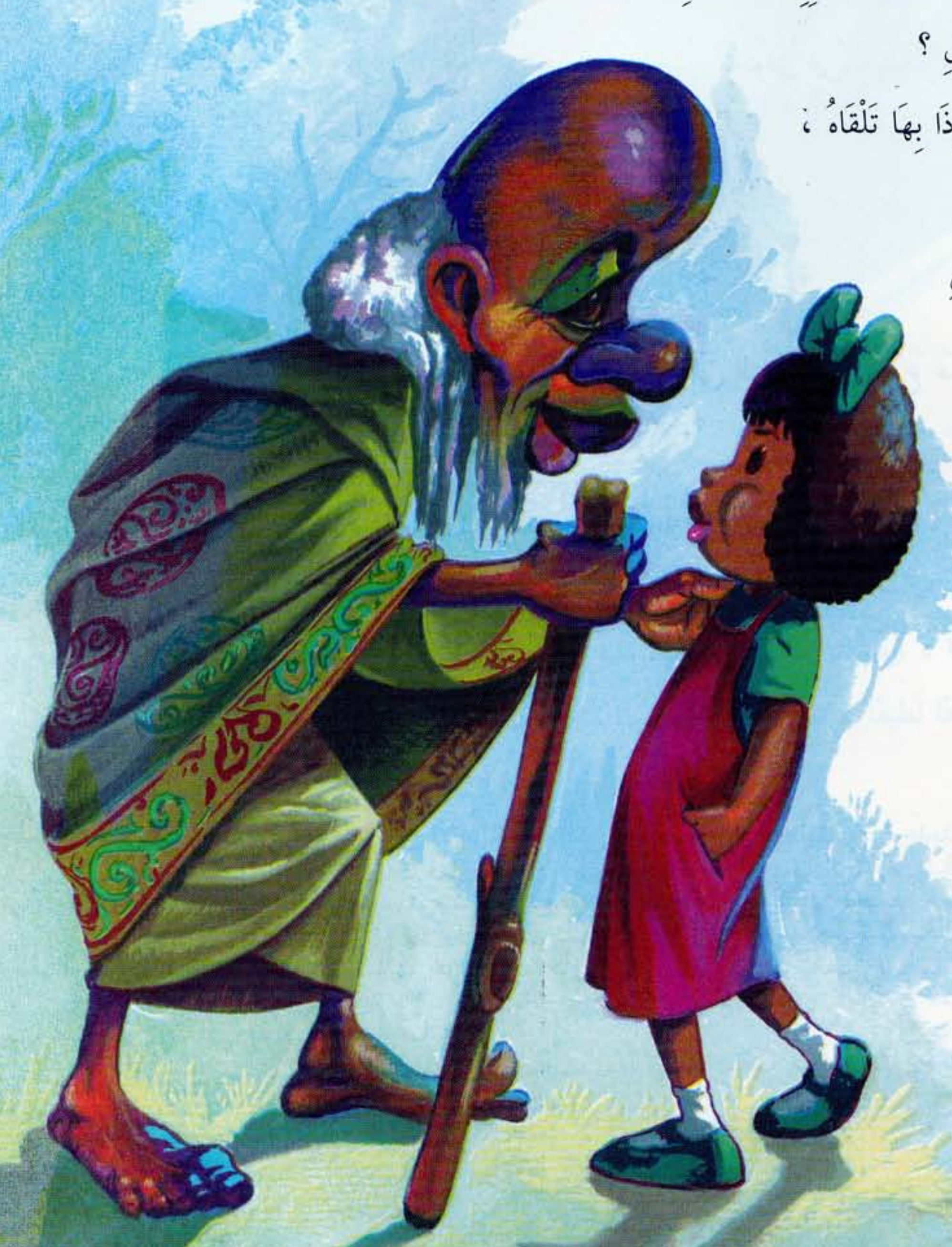
- أَهْلا يَا « أُوسَـا » هَلِ اجْـتَـذَبَتْكِ الأَضْـوَاءُ كَالْفَرَاشَاتِ ؟

سَأَلَتْهُ « أُوسَا » : كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِى ؟

- إِنَّنِى أَعْـرِفُ الْكَثِـيرَ عَنْكِ.

-وَأَنَا أَيْضًا سَـمِعْتُ أَنَّ لَدَيْكَ أَعْـشَـابًا تَشْـفِى مِنَ الأَمْرَاضِ ، كَمَـا أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلامِ .

- هَذَا مَا يَقُولُهُ النَّاسُ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدِينِى فِى فَرْشِ هَذِهِ الأَعْـشَابِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجِفَّ ؟



- يَسرُّنى ذَلكَ كَثيراً .

أَخذَتْ « أُوسَا » تُـعَاوِنُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَظَلَّتْ تَعْـمَلُ طَوِيلا دُونَ أَنْ تَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَقْطَعُ رِحْلَتَـهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ بِسُرْعَـةٍ ، وَقَدْ نَسِيَتْ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهَا أَخذَتْ تَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ مَعَ الرَّجُلِ العَـجُوزِ ، وَقَدَّمَ لَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ ،وَشعَرَتْ بَعْـدَ ذَلِكَ بِالتَّعَبِ ؛ فَجَلَسَتْ لِتَستَرِيحَ ، وإِذَا بِهَا تَغْفُو وَتَنْعَسُ ،فَـحَمَلَهَا الْعَجُوزُ إِلَى الْفِرَاشِ . وَعِنْدَمَا استَيْقَظَتْ قُرْبَ الظُّهْرِ قَالَ لَهَا :

- لَـقَدْ أَدَّيتِ عَمَلَكِ فِى بَرَاعَةٍ ، وَكُنْتِ شُجَاعَةً وَأَنْتِ تَتَسَلَّقِينَ السُّلَّمَ ، وَتُسْنِدِينَهُ إِلَى الأَشْجَارِ ؛ لِقَطْفِ أَوْرَاقِهَا!

- إِنَّنى شُجَاعَةٌ بِالنَّهَارِ ، رِعْدِيدَةٌ بِاللَّيْلِ .

- أَنَا - أَيْضًا - أَخَافُ الْغَابَةَ لَيْلا .

- هِىَ تُخْفِى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُزْعِجَةً ؛ إِذْ تَتَجَوَّلُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ وَتُحَمْلِقُ فِى بِعَيْنَيهَا ، وَالشَّرُّ يَنْبَعِثُ مِنْهُمَا .

ابْتَسَمَ الْعَجُوزُ وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

- هَلْ تَرَيْنَ هَذِهِ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؟

- نَعَمْ ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ جِدا !

- وَصَغِيرَةٌ جِدا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِىَ تُحَلِّقُ ، وَتَطِيرُ ، وَلا تَخْشَى السُّقُوطَ وَالْوُقُوعَ عَلَى الأَرْضِ .

تَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا « أُوسَا » وَهِىَ تَقُولُ :

- لا بُدَّ أَنَّ فِيهَا «سرا» مَا . أَنَا شَخْصِيا لَيْسَ عِنْدِى جَنَاحَانِ أَطِيرُ بِهِمَا ، وَأَهْرُبُ مِنَ الْخَوْفِ .

- يَجْدُرُ بِكِ أَنْ تَجِدِى سَبِيلا لِلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ وَمُوَاجَهَتِهِ .

- إِنَّنِى أَتَمَنَّى ذَلِكَ . لَيْتَكَ تُسَاعِدُنِى !

- رَاقِبِيهَا . . تَابِعِيهَا .

جَلَسَتْ « أُوسَـا » تَنْفُضُ التُّرَابَ عَنِ الأَعْـشَابِ الَّتِى جَـفَّتْ ، وَغَـفَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَإِذَا بِهَـا تَحْلُمُ بِالْفَـرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ وَهِىَ تَطِيرُ فِى ضَوْءِ الشَّـمْسِ ، وَكَأَنَّمَا يَنْبَعِثُ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَكَأَنَّهَا تَحْمِلُهُ مَعَهَـا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا الْفَرَاشَةُ الصَّـفْرَاءُ ؛ تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَهَا عَنْ شَىْءٍ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لَهَا بَعْضَ كَـلِمَاتٍ. وَفِى صَوْتٍ رَقِيقٍ نَاعِمٍ ، هَمَسَتِ الْفَرَاشَةُ : تَعَالَىْ وَرَائِى يَا « أُوسَا » .

- إِلَى أَيْنَ ؟

- سَتَعْرِفِينَ .

مَضَتِ الْفَرَاشَةُ الصَّفْـرَاءُ ، وَ « أُوسَا » مِنْ وَرَائِهَا ، تَتَعَقَّبُهَا . طَارَتْ فِى طُرُقٍ ضَيِّـقَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَهِىَ مِنْ خَلْفِهَا



كَأَنَّهَا تُطَارِدُهَا . وَفَجْأَةً أَحَسَّتْ « أُوسَا » بِشَىْءٍ يَجْذِبُهَا مِنْ كَتِفَيْهَا ، وَانْتَابَهَا فَزَعٌ شَدِيدٌ، فَتَلَفَّتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَإِذَا بِغُصْنِ شَجَرَةٍ أَمَامَهَا ، وَفَجْأَةً وَجَدَتْ أَنَّهَا قَدْ فَقَدَتِ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ إِذْ اخْتَفَتْ، وَلَمْ تَعْرِفِ الطَّرِيقَ الَّذِى سَلَكَتْهُ، وَضَاعَ مِنْهَا الضَّوْءُ الَّذِى كَانَتْ تَسْتَدِلُّ بِهِ ، وَتَجْرِى عَلَى هُدَاهُ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلا أَنْ قَعَدَتْ عَلَى الأَرْضِ وَعَقَدَتْ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَبَدَأَتْ تَبْكِى . وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَتْ نَفْسَهَا تَرْقُدُ حَيْثُ هِىَ ، عَلَى التُّرَابِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ، وَأَحَسَّتْ بِهِ دَافِئًا مُرِيحًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَعَرَتْ أَنَّ شَيْئًا مَا فِى دَاخِلِهَا يَتَغَيَّرُ ، وَتَسَاءَلَتْ :

- مَاذَا يَحْدُثُ لِى ؟

وَجَدَتْ أَنَّ نُقْطَةً مُضِيئَةً قَدْ بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِى دَاخِلِهَا ، وَأَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ تَكْبُرُ وَتَكْبُرُ ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ صَغِيرَةٌ ، مِثْلُ تِلْكَ الَّتِى كَانَتْ فِى قَلْبِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَأَحَسَّتْ بِنَفْسِهَا خَفِيفَةً لَطِيفَةً قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَطِيرَ فِى الْهَوَاءِ ، وَهِىَ تُحَرِّكُ ذِرَاعَيْهَا ، كَأَنَّمَا هُمَا جَنَاحَانِ رَقِيقَانِ ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى أَعْلَى. . إِلَى مَا فَوْقَ الأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلاحَظَتْ أَثْنَاءَ طَيَرَانِهَا أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ حَلَّ ، لَكِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مُظْلِمَةً جِدا، حَيْثُ كَانَتْ « أُوسَا » تَتَصَوَّرُ أَوْ تَتَخَيَّلُ. رَأَتْ نُورًا مُتَنَاثِرًا هُنَا وَهُنَاكَ ، وَتَسَلَّلَ بَعْضُ الأَمَانِ وَالاطْمِئْنَانِ إِلَى نَفْسِهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ تَطِيرُ ، مُحَلِّقَةً .

وَعِنْدَمَا فَتَّحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِى فِرَاشِ الْعَجُوزِ .

هَلْ نَقَلَهَا إِلَيهِ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ تُرَاهَا لَمْ تُغَادِرْهُ ؟

أينَ الْحُلْمُ ؟ وأَيْـنَ الحقِيقَةُ فِي كُلِّ مَـا رأَتْهُ ؟ هَلْ هُنَاكَ - حقا - فَـرَاشَةٌصَـفْرَاءُ أَمْ أَنَّ الأَمْرَ مُجَرَّدُ خَيَالٍ ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ طَارَتْ فِعْلا أَمْ أَنَّ الحِكَايَةَ حُلْمٌ طَافَ بِرَأْسِهَا ؟

تَطَلَّعَتْ هُنَا وَهُنَاكَ بَاحِثَةً عَنِ الْعَجُوزِ .

مَا أَكْثَرَ مَا تَنَامُ خِلالَ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِّ نَهاراً ، لِمَاذَا لا تَدَّخِرُ النَّوْمَ إِلَى اللَّيْلِ ؛ لِتَهْرُبَ مِنْ ظَلامِهِ وَمِنَ الْخَوْفِ خِلالَهُ ؟

لَمَحَتْ « أُوسَا » الْعَجُوزَ نَشِيطًا ، مَازَالَ يُواصِلُ عَمَلَهُ فِي جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ ، وَأَحَسَّتْ أَنَّهُ إِنْسَانٌ عَظِيمٌ وَطَيِّبٌ ، بَلْ رَائِعٌ ؛ فَغَادَرَتْ مَكَانَهَا إِلَيْهِ .

سَأَلَهَا : هَلْ رَأَيْتِ أَحْلامًا جَمِيلَةً خِلالَ نَوْمِكِ ؟

- نَعَمْ

وَحَـكَتْ لَهُ كُلَّ مَـا حَلَمَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْـهُ عَنِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَكَـيْفَ تَبِعَتْهَـا ، ثُمَّ فَقَدَتْ أَثَرَهَا ، وَرَوَتْ لَهُ كَيْفَ أَنَّ دَاخِلَهَا قَدْ أَصْبَحَ مُضِيئًا ، وَأَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ أَنْ تَطِيرَ ، وَأَضَافَتْ :

- قُلْتَ لِي : إِنِّي سَأَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ - أَقْصِدُ ذَاتَ لَيْلَةٍ - شُجَاعَةً .

- نَعَمْ .

- لَقَدْ حَدَثَ .

كَانَ الْعَجُوزُ يَنْظُرُ إِلَى « أُوسَا » وَهِيَ تَسْتَعِدُّ لِتُغَادِرَ الْمَكَانَ إِلَى بَيْتِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

- سَوْفَ يَأْتِي اللَّيْلُ وَأَنْتِ عَلَى الطَّرِيقِ .

- فَلْيَأْتِ . . لَسْتُ أَخْشَاهُ .

- وَالظَّلامُ وَالأَشْبَاحُ ؟

- إِنَّنِي كُنْتُ أَخَافُ حِينَ لا يَكُونُ هُنَاكَ نُورٌ مِنْ حَوْلِي ، وَلَكِنَّنِي أَشْعُرُ الآنَ أَنَّ هُنَاكَ نُوراً بِدَاخِلِي .

هَتَفَ : مَاذَا ؟

- قُلْتَ لَكَ : إِنَّ شَمْسًا نَبَتَت بِقَلْبِي ، وَإِنَّ نُوراً يَشِعُّ مِنْهَا ، لايُضِيءُ مَا بِدَاخِلِي فَحَسْبُ ، بَلْ وَالطَّرِيقَ أَمَامِي، وَيُبَدِّدُ الظَّلامَ فِيمَا حَوْلِي .

- هَذَا شَيْءٌ رَائِعٌ يَا « أُوسَا » ، أَنْت وَأَنَا الآنَ أَصْبَحْنَا أَصْدِقَاءَ ، وَأَنْتِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَزُورِينِي حَتَّى فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .

- لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَوْفُ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ مِـنْ ضَـوْءِ النُّجُومِ وَهِيَ تَنْعَكِسُ عَلَى زُجَاجَاتِ الشَّجَرَةِ

وَتَمْلَؤُهَا بِالنُّورِ .

- سَأَنْتَظِرُكِ يَا « أُوسَا » .

لَوَّحَتْ « أُوسَا » بِيَدِهَا مُوَدِّعَةً الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَمَضَتْ عَلَى الطَّرِيقِ شُجَاعَةً ثَابِتَةَ الْخُطَا ، لا تَخَافُ أَحَدًا ، وَلا تَخْشَى شَيْئًا . وَكَانَتْ عَيْنَاهَا تَخْتَرِقَانِ الظَّلامَ ، وَالنُّورُ يُطِلُّ مِنْهُمَا ، فَتَخْشَاهَا الْحَيَوَانَاتُ ، وَتَتَفَادَاهَا ، وَتُخْلِى لَهَا الطَّرِيقَ . وَكَانَ صَوْتُهَا يَرْتَفِعُ - أَحْيَانًا - بِالْغِنَاءِ ، فَيُؤْنِسُهَا ، وَيُفْرِحُهَا وَيُبْهِجُهَا ، وَيَزِيدُهَا شَجَاعَةً عَلَى شَجَاعَتِهَا . وَكَانَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرِ تَنْحَنِى لَهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهَا ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهَا كَانَ يَنْحَنِى ؛ تَحِيَّةً وَتَقْدِيرًا .

وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْبَيْتِ وَجَدَتْ أُمَّهَا فِى انْتِظَارِهَا وَهِىَ قَلِقَةٌ ، وَمَا إِنْ رَأَتْهَا حَتَّى صَاحَتْ فِيهَا :

- أَيْنَ كُنْتِ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ إِلَى أَنْ حَلَّ الظَّلامُ ؟

- كُنْتُ أُبَدِّدُهُ وَأَهْزِمُهُ ، وَأُسَاعِدُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ عَلَى تَجْفِيفِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَأُطَارِدُ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ بَحْثًا عَنِ الطَّرِيقِ .

- وَمَاذَا عَنْ خَوْفِكِ مِنَ الظَّلامِ ؟

- الظَّلامُ ؟ أَىُّ شَىْءٍ هُوَ ؟ وَمَا الَّذِى يُخِيفُ فِيهِ ؟

- كُنْتِ تَرْتَعِدِينَ مِنْهُ ؟

- كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ الشَّمْسُ بِدَاخِلِى وَقَبْلَ أَنْ يُشْرِقَ النُّورُ فِى صَدْرِى . لَقَدْ تَعِبْتُ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقُدَ فِى فِرَاشِى .

- أَلَنْ تَقْعُدِى وَتَعْقِدِى ذِرَاعَيْكِ حَوْلَ رُكْبَتَيْكِ ، وَتَنَامِى حَيْثُ أَنْتِ ، وَأَحْمِلُكِ إِلَى سَرِيرِكِ ؟

- لا . . لا ، سَوْفَ أَمْضِى إِلَيْهِ هَادِئَةً وَفِى عُمْقٍ وَأَنَا مُلْتَحِفَةٌ بِالظَّلامِ !

فهرس

رقم الإيداع ٣٠٥٩ / ٩٨ الترقيم الدولى: ISBN: 977 - 261 - 602 - 5



حكايات الشعوب

تؤلِّف الشعوب حكايتها الجميلة، تنبت لها أجنحةً، ترفرف بها وتطير مهاجرة حُرَّة لا تعرف الحدود أو القيود، تهبط فى هذه السلسلة فوق شجرتنا، تغرد، تغنى، تمتعنا، وتحلق عاليًا، تزيد من معرفتنا للإنسان فى كل زمان ومكان، تخاطب فينا وجداننا وعقولنا، وتثير فينا حُبا للشعوب والناس والحياة على كوكبنا، هى حكايات ملونة، عذبة، جذابة، شيقة، رشيقة.

عناوين السلسلة

* توكيتارو.	وحكايات أخرى من اليابان.
* هونشى	وحكايات أخرى من اليابان.
* بيت العنكبوت	وحكايات أخرى من إفريقيا.
* الفراشة الصفراء	وحكايات أخرى من إفريقيا.
* دون دمينينو	وحكايات أخرى من إسبانيا.
* الطاووس الأبيض	وحكايات أخرى من إسبانيا.
* حضرة العمدة	وحكايات أخرى من السُّلاف.
* من يفوز	وحكايات أخرى من السُّلاف.
* إن شاء الله	وحكايات أخرى من إندونيسيا.
* تل النمل	وحكايات أخرى من إندونيسيا.
* قوس قزح	وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.
* آكل السحب	وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.

6 222002 115924

سفير ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص.ب: ٤٢٥ الدقى ت: ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩